الترجمات القرآنية : قضاياها ومشكلاتها

إعداد: الدكتورة نسيمة الحاج عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. والحمد لله الذي نهج لنا سُبُلَ الرَّشاد وهدانا بنور الكتاب، وجعله مَتْلُوّاً لا يُمَلُّ على طول التلاوة، ومسموعًا لا تمجُّه الآذان، وجمع كثيرًا من معانيه في القليل من لفظه. أما بعد،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تمهيد

فالموضوع الذي سوف أتحدث عنه اليوم هو "الترجمات القرآنية : قضاياها ومشكلاتها". أول ما يتبادر إلى الذهن حين أتطرّق إلى الترجمات القرآنية هو القضايا التي شغلت فكرَنا والقضايا التي تثير اهتمامَنا، إضافة إلى المشكلات التي تواجه من يقوم بعملية الترجمة وما هو الحل الأمثل؟!. فهذا الموضوع حقيقةً ليس موضوعا جديدا، بل تناوله الكثيرون من العلماء والباحثين والخبراء في أوائل القرن الرابع عشر الهجري حين ظهرت بعض ترجمات للقرآن الكريم للمرة الأولى، ويأتي دوري هنا فقط لتقديم ما توصّلوا إليه. لذلك سوف يتمحور هذا التقديم والكلام في هذه الجلسة حول قضايا الترجمات القرآنية إلى لغات أخرى ومشكلاتها.

إذا كانت الترجمة بشكل عام تؤدي دورا أساسيا في التقريب بين الثقافات والحضارات، فلا شك أن ترجمة النصوص القرآنية لا تقلّ أهمية في تأدية هذا الدور الحيوي باعتبارها حقلا رائدا في تفهيم المسلمين من غير الناطقين بالعربية مقصوديةَ النص القرآني الأصلي العربي. كانت الترجمات القرآنية ولا تزال حقلا يطرح تحديات جمة، وموضوعا مثمرا ومثيرا للجدل في حقل الدراسات القرآنية والترجمة. فالمقصود بالترجمات القرآنية في هذا التقديم على وجه التحديد هو ما يشير إلى ترجمات معاني القرآن الكريم بلغات أخرى غير عربية.

ومن المعروف أن الترجمات القرآنية إلى لغات أخرى قد حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة عند العلماء المسلمين العرب وغير العرب كذلك، حيث قد استفاضوا في بيان الفروق

بين التفسير والترجمة، ومدى الحاجة إلى ترجمة القرآن الكريم، بالإضافة إلى بيان مواقف وآراء العلماء في حكم ترجمة القرآن الكريم أو قراءته وكتابته بغير العربية.

وكذلك الأمر من قِبَل غير المسلمين، من المستشرقين والقاديانيين. فالمستشرقون عندهم الترجمات ونسمي ترجماتِهم بالترجمات الاستشراقية، أما القاديانيون فعندهم أيضا الترجمات ونسمي ترجماتِهم بالترجمات القاديانية. فمن البديهي أن هذا النوع من الترجمات القرآنية بعيدةٌ كلُ البعد عن الموضوعية والمنهج العلمي في هذا المجال. وكذلك تسعى الترجمات القرآنية من جهة المستشرقين والقاديانيين إلى تشويه معاني القرآن الكريم هادفة إلى التنصير والتشكيك والتضليل، فضلا عن احتوائها على كثير من الأخطاء، والحذف، والإضافة، والتحريف لمحتوى القرآن الكريم[١]. وأحيانا غيَّروا الترتيب المصحفي المأثور ظنّين أن الترتيب النـــزولي يبيِّن التطورات الفكرية للرسول صلى الله عليه وسلم على حد زعمهم.

تجدر الإشارة هنا إلى أن أول ترجمة للقرآن الكريم تمت باللغة اللاتينية على يد مجموعة من الرهبان سنة ١١٤٣م، وهي الترجمة التي ترأسها الراهب روبرت كيتون الإنجليزي Robert Ketton مضيفًا إليها ستة ملاحق تطعن في القرآن الكريم. فالهدف من نشر هذه الترجمة هو أن يخدم هدف الكنيسة االذي سعت إليه وهو محاربة الإسلام. والشيء الذي يشد انتباهنا هو أن هؤلاء الكفار لهم جهود كبيرة التي بذلوها لأجل تحقيق أهدافهم الهدّامة.

وهذا ليس من اهتمامنا، وما يهمّنا هنا في هذا المجال ما يتعلق بالترجمات الإسلامية التي قام بها العلماء المسلمون غير العرب. لقد ولج المسلمون بابَ ترجمة معاني القرآن الكريم بعد أن احتلّت الترجمات الاستشراقية والقاديانية المكتبةَ العالمية الإنجليزية وغزت الأسواق العالمية. ومن تلك الترجمات القرآنية إلى اللغة الإنجليزية الشهيرة ما قام به محمد عبد الحكيم خان سنة ١٩٠٥م، و Mohamad Marmaduke Pickthall سنة ١٩٣٠م، والسيد عبد الله يوسف علي سنة ١٩٣٤م، ومحمد أسد سنة ١٩٨٠م بعنوان (The Message of the Qur'an)، وغيرهم كثيرون.

بصدد ترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الملايوية بشقيها الماليزية والإندونيسية فهي كثيرة أيضا، منها A.Hassan، و Mahmud Yunus، و Sheikh Abdullah Mohd Basmeih، و H.Zaini ، Dahlan ، و Muhammad 'Uthman El-Muhammady، و H.Fachruddin HS و H.Zainuddin Hamidy وغيرهم كثيرون، ومن تلك الترجمات ما نهضت به المؤسسات أو وزارات الشؤون الدينية مثل: مؤسسة رستو (*Yayasan Restu*) في ماليزيا، ومؤسسة مترجمي ومفسري القرآن (*Yayasan*

Penyelenggaraan Penterjemah/Pentafsir al-Quran) في إندونيسيا. إن هذه الترجمات الإسلامية لا تخرج عن إطار الموضوعية والمنهج العلمي هادفة إلى تفهيم المسلمين من غير الناطقين بالعربية فحوى رسالة النص القرآني الأصلي العربي، وهي تختلف اختلافا جذريا عن الترجمات الاستشراقية والقاديانية اللتين تسعيان إلى تشويه مقاصد القرآن. وحتى الآن قد تُرجم القرآنُ الكريم إلى أكثر من ٦٠ لغة من اللغات في العالم منها التركية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها.

طيب! الآن ننتقل إلى مناقشة قضايا الترجمات القرآنية.

١) قضايا الترجمات القرآنية

١,١- عدم موافقة العلماء المسلمين في تحديد الآراء حول ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى.

اختلف العلماء المسلمون حول ترجمة القرآن. فقد استغرق الجدل حول حكم ترجمة القرآن إلى لغات أخرى في زمن طويل جدا، هناك رأي يقول بالتحريم، وهناك رأي يقول بالجواز، الأمر الذي يؤدي إلى انتهاز الكفار الفرصةَ لنشر الترجمات الاستشراقية.

بعد أن ظهرت الترجمات القرآنية من قبل غير المسلمين بشكل كثير في القرن التاسع عشر الميلادي، سرعان ما اتّفق العلماء المسلمون على جواز ترجمة القرآن الكريم بوصفها تفسيرًا لمعانيه، لا سواه، هادفًا إلى تفهيم المسلمين من غير الناطقين بالعربية مقصوديةَ النص القرآني الأصلي العربي، وهذا من شأنه يؤكّد أن "أصله موجود ومحفوظ، لذلك ظل القرآنُ الكريم واحدًا لا يضاهيه نص، واعتبرت جميع ترجماته مجرد تفاسير لا تأتي إلا لغرض الشرح والإبانة فقط .."[٢]. وعلى هذا الأساس، لا تعدو الترجمات القرآنية أن تكون محاولة لتفسير القرآن بحسب فهم المترجم واجتهاده واختياره من الألفاظ والتعابير باللغة الهدف وأساليب الترجمة التي يراها مناسبة لتفسير معاني القرآن.

ومما يساند هذا الأمر أن الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر قد أفتى سنة ١٩٣٢م بجواز ترجمة القرآن إلى لغات أخرى مستدلا على مذهب أبي حنيفة الذي كان لا يفرّق بين آية وأخرى في جواز الترجمة، مشيرًا إلى أن اللغة المنقول إليها قد تتمكّن من أداء بعض الخصائص العربية وبعض دلالات المعاني التابعة رغم عجزها عن أداء كل ما في اللغة العربية من

خصائصها ومعانيها التابعة، لأن الناس يختلفون في التعبير عن أهدافهم بلغة واحدة[٣]. وبعد ذلك تزايدتْ الترجمات القرآنية في اللغات المختلفة، بل لا تزال تصدر ترجمات للقرآن الكريم بالطبعات المنقَّحة المتجدّدة.

١,٢- تأخُّر المسلمين غير الناطقين بالعربية في نشر الترجمات القرآنية والمستشرقون تعجّلوا في ترجمته.

إن الدراسات حول القرآن تشعّبتْ واشتملتْ كلَّ زاويةٍ من زوايا البحث، لكن المسلمين لم يشغلوا أنفسهم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، إلا خلال القرن التاسع عشر الميلادي[٤]. ولعل هذا يعود إلى أن العلماء المسلمين في البداية اتـّخذوا موقِفًا وقائيًّا في سبيل الدفاع عن القرآن الكريم، فاتّـجهوا إلى عدم قبول - بأيّ حال من الأحوال - ترجمةِ القرآن الكريم إلى لغات أخرى، مما أسفر هذا الاتجاه عن ظهور الترجمات القرآنية من قبل غير المسلمين[٥]. والمؤسف في هذا الصدد أن تلك الترجمات خاصة من قبل المستشرقين كان لها أثرٌ في تشويه معاني القرآن.

قد أشار يوجين نايدا Eugene Nida في كتابه "context in translating" إلى تأخُّر المسلمين غير الناطقين بالعربية في نشر الترجمات القرآنية بقول هذا:

> "Because the Bible or at least portions of it, have been translated for a longer period of time and into more languages, it is not strange that some of the conflicts about principles of translation have focused on how one can legitimately translate a book that is regarded as divinely inspired. The answer to this problem in the Arab world was to decide that the Koran should not be translated, and as a result most translation of the Koran have been done by non-muslims."(2001: 108)

١,٣- اعتماد العلماء المسلمين على الأسلوبين في ترجمة القرآن الكريم ؛ ألا وهما أسلوب الترجمة الحرفية وأسلوب الترجمة التفسيرية[٦].

ومن المسلّم به أن الدراسات القرآنية من قبل العلماء المسلمين كلها قد ناقشتْ قضية ترجمة القرآن الكريم بتوجيه النظر إلى أنواع ترجمته القائمة على الترجمة الحرفية والترجمة المعنوية أو الترجمة التفسيرية البحتة[٧] ، فهذا خلاف لما عالجه الخبراء الغربيون في دراسات الترجمة، إذ أنهم قد طوّروا نظريات الترجمة الحديثة في الدراسات الغربية، مما أسفر عن تلك النظريات ظهور الأساليب المتباينة

في ترجمة الدلالات المجازية. ونأخذ مثالا واحدا فقط، منهم ملدريد لارسون (Mildred Larson) التي اقترح خمسة أساليب لترجمة الاستعارة. ومن تلك الأساليب هي كما يلي[٨]:

(أ) إبقاء الاستعارة على حرفيتها : (the metaphor may be kept if the receptor language permits)

ويسمح هذا النوع من الأسلوب إذا بدتْ طبيعية اللغة الهدف وفهمها القارئ فهمًا صحيحًا مما لا يفضي إلى فقدان القيمة الاتصالية بالقراء.

(ب) ترجمة المجاز إلى التشبيه : (a metaphor may be translated as a simile)

(جـــ) إبدال المجاز في اللغة المصدر بأخرى لها المعنى نفسه في اللغة الهدف : (a metaphor of the receptor language which has the same meaning may be substituted)

(د) إبقاء المجاز على حرفيته مع شرح المعنى : (the metaphor may be kept and the meaning explained)

(هـــ) ترجمة معنى المجاز من دون الحفاظ على الصورة الذهنية المجازية : (the meaning of the metaphor may be translated without keeping the metaphorical imagery)

أظهرت نتائج الدراسة التي تناولها الباحثون في السنوات الأخيرة[٩] أن المترجمين الملايويين للقرآن الكريم قد استخدموا تلك الأساليب الخمسة في ترجمة الاستعارة القرآنية إلى اللغة الملايوية لتوضيح المعنى المقصود في الرسالة القرآنية، هذا مما يؤكد أن للمترجمين خيارات من الأساليب في ترجمة الاستعارة القرآنية إلى اللغة الملايوية، وليس لهم خيار واحد محدد، وتلك الأساليب كلها تكون مطابقة للمعنى المراد بالقدر الذي يقارب ما هو عليه في النص الأصلي العربي، غير أن الأسلوب الثاني ألا وهو ترجمة الاستعارة إلى التشبيه والذي لا يُستعمل إلا نادرا من نادر الاستعمال.

الآن ننتقل إلى مناقشة مشكلات الترجمات القرآنية

٢) مشكلات الترجمات القرآنية

وبطبيعة الحال ظهرت الإشكاليات الدلالية في ترجمة النصوص القرآنية إلى اللغات الأخرى، لا سيما في ترجمة المجازات، لأن الثقافة بين اللغة العربية القرآنية واللغات المنقولة إليها، والملامح اللغوية لهما تختلفان تمام الاختلاف مما يدفع المترجمين إلى اتخاذ مناهج خاصة لحل تلك الإشكاليات.

ومن المسلّم به أن المترجم لن يتمكّن من محاكاة الأسلوب البديع في القرآن الكريم، ولا نقل معناه بالدقة نفسها لاحتوائه على بعض الخصائص اللغوية المتميّزة التي تتّسم بعدم القابلية للترجمة إلى أية لغة في العالم، منها التعابير المجازية[١٠]. لكن إنْ لـــم نترجم النصوص القرآنية إلى لغات أخرى، فكيف نُوْصِل الرسالة القرآنية إلى أبناء مجتمع غير عربي لا يتقن أهلُه اللغةَ العربية اتقانًا جيدًا، أو لا يملكون القدرة على تعلّمها هادفين إلى إفهامهم التعاليمَ الإسلامية؟!

لاحظتُ من خلال استجلاء الكتب في الدراسات القرآنية ودراسات الترجمة أن ثمة الأسبابَ التي تسبب مشاكل في ترجمة القرآن الكريم، ومنها ما يلي[١١]:

٢,١- ظاهرة التعابير المجازية

٢,٢- ظاهرة الحذف

٢,٣- ظاهرة الإيجاز

٢،٤- ظاهرة الإعراب في اللغة العربية

٢،٥- وجود القراءات المختلفة

٢،٦- وجود بعض الأساليب المختصة باللغة العربية مثل: أسلوب الالتفات، وأسلوب التقديم والتأخير، وأسلوب التورية

هنا يأتي دور المترجم في ترجمة النصوص القرآنية...ألا وهو محاولة إبراز الدلالات الصحيحة وتصديرها بالقدر الذي يقارب ما هي عليه في النص الأصلي العربي. ويتم دور المترجم بما يلي:

١- إيصال المعاني إلى قراء اللغة المنقول إليها بدقة متناهية وسلاسة لغوية

٢- إعطاء صورة صحيحة للمفاهيم الدينية

٣- اختيار الألفاظ المناسبة لتفسير المفاهيم الدينية

٤- اتخاذ أسلوب الترجمة المناسب لتوضيح المفاهيم الدينية

٥- تقويم الترجمة وتحسينها

الخاتمة

والآن لم يبق لنا سوى اللجوء إلى بعض التساؤلات:

(أ) السؤال الأول: لماذا يحتاج المسلمون الآن الناطقين بغير العربية إلى الترجمات القرآنية؟

فالجواب هو : هم دخلوا في الإسلام وكانوا مع الإسلام ولا يزالون مع الإسلام، لكنهم لا يتعلّمون اللغةَ العربية، ولا يعرفونها على الإطلاق، هذا الأمر الذي يدفع إلى الحاجة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى. أو بعبارة أخرى، سوف يتم تفهيم المسلمين الناطقين بغير العربية فحوى رسالة القرآن بالاعتماد على الترجمات القرآنية في ظروف معينة. فهنا يأتي دور المترجم المسلم.

أمامنا الواقع الآخر، ماذا؟! دخلوا في الإسلام وكانوا مع الإسلام ولا يزالون مع الإسلام، ويتعلّمون اللغةَ العربية، ويعرفونها؛ أسماءها وأفعالها وحروفها، لكن قدراتهم اللغوية والبلاغية والأسلوبية ضعيفة جدا جدا، وجهودهم قليلة جدا جدا، الأمر الذي يتطلب منهم الرجوع إلى الترجمات القرآنية والإطلاع على الترجمات القرآنية. ويا للأسف جدا جدا أن هؤلاء المسلمين يتعلّمون اللغةَ الإنجليزية وغيرها ويعرفونها جيدا، ويتقنون بها إتقانا، ويتكلمون بها كلاما كما يتكلم بها الناطقون الأصليون، ويتذوّقون بها، ويفكّرون بها، ويحلمون بها، لكن عندما جاء الأمر المتعلق بقضية فهم النصوص القرآنية العربية التي تتضمن فيها التعاليم الإسلامية، ماذا فعلوا؟! يراجعون الترجمات القرآنية بديلة للقرآن الكريم المترل باللغة العربية.

(ب) السؤال الثاني : لماذا لا يحتاج المسلمون الأوائل غير العرب إلى الترجمات القرآنية؟

فالجواب هو : دخول غير العرب في الإسلام وتعلّمهم اللغةَ العربية، أي لهم جهود كبيرة بذلوها لأجل فهم النصوص القرآنية.

على ضوء ما تقدم، أرى أن الترجمات القرآنية من جهة العلماء المسلمين لها شأن كبير في إيصال الرسالة القرآنية إلى أبناء مجتمع غير عربي لا يتقن أهلُه اللغة العربية اتقانا جيدا، أو لا يملكون القدرة على تعلمها هادفة إلى إفهامهم التعاليم الإسلامية. إذ بدون تلك الترجمات القرآنية

قد تؤدي إلى اعتماد المجتمع الإسلامي على الترجمات الخاطئة. أرى أن تواجد الترجمات القرآنية في البلاد غير العربية أمر ضروري من أجل تيسير فهم التعاليم الإسلامية، بيد أن هذا لا ينقص من قيمة وضرورية تعلّم اللغة العربية من قبل المجتمع غير العربي. فهذا أريد أن أقول هنا فمن المستحسن أن المسلمين يتعلمون اللغة العربية صرفها ونحوها وبلاغتها حتى لا يحتاجون إلى الترجمات القرآنية.

وفي الختام أقول: "من يدّعي أنه يعرف فهو لا يعرف، ومن يدّعي أنه لا يعرف فهو سوف يعرف". ولله الحمد والشكر على نعمه الكثيرة التي لا تحصى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

الهوامش:

[١] انظر: الشِدّي، عادل بن علي، **الترجمات الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم: عرض ونقد وتحليل**، (الرياض: مدار الوطن، ط ١، ١٤٣١ه/٢٠١٠م)، ص ١٩.

[٢] مجدي حاج إبراهيم وأكمل حزيري بن عبد الرحمن، **مبادئ ترجمة النص الديني في ضوء دراسات الترجمة الحديثة من منظور إسلامي**، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العالمي الثاني للغة العربية وآدابها: إسلامية الدراسات اللغوية والأدبية وتطبيقاتها، ٢١-٢٣ ديسمبر ٢٠٠٩م، تنظيم قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ص ١٢-١٣.

[٣] انظر: المراغي، محمد مصطفى، **بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها**، مجلة الأزهر، (القاهرة: مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية، المجلد ٧، العدد ٢، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ص ٧٩-٨٠ و ٨٥.

[٤] انظر: مهنا، أحمد إبراهيم، **دراسات حول ترجمة القرآن الكريم**، (مطبوعات الشعب، د. ت.)، ص ١٠. وانظر: الطيباوي، عبد اللطيف، **أحكام ترجمة القرآن الكريم وتاريخها**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج ٣، المجلد ٥٤، شعبان ١٣٩٩ه-يوليو ١٩٧٩م، ص ٦٣٥.

[5] See in: Nida, Eugene A., *Contexts in Translating*, (Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, 2001), p. 108.

[٦] رمضان، نجدة. ترجمة القرآن الكريم وأثرها في معانيه، (دار المحبة، ١٩٩٨)، ص: ٧.

[٧] انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (القاهرة: دار الكتاب المصري، وبيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠١)، ص ١١١/٢. والقطان، مناع. **مباحث في علوم القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢٤، ١٩٩٢)، ص ٣١٣. والذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص ٢٧/١. وفرحات، أحمد حسن، **في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق**، (عمان: دار عمار، ط ١، ٢٠٠١)، ص ٢٧٦.

[8] Larson, Mildred L. *Meaning-Based Translation: A Guide to Cross-Language Equivalence*. (Lanham, New York, Oxford: University Press of America, 2nd. ed., 1998), p. 279.

[٩] انظر: نسيمة عبد الله. (٢٠١٧). **أساليب ترجمة الاستعارة القرآنية إلى اللغة الملايوية في ضوء دراسات الترجمة الغربية الحديثة**. في القناطر في الدراسات اللغوية. كلية الدراسات والحضارة الإسلامية.

[10] See in: Majeed Salehy, *A Linguistic Approach Towards The Quran: Literary Patterns-(Un)Translatabilities*, (Tehran: Imam Hossein University Press, 1996), p. 3.

[11] سعاد يلديريم. (١٩٩٩م). **أسباب الإشكال في ترجمة معاني القرآن الكريم**، in Proceeding of 7th. International Conference On Translation : Translation of Religious Texts, (Kuala Lumpur: The Malaysian Translators Association, Dewan Bahasa & Pustaka, International Islamic University Malaysia & National Institute of Translation Malaysia.